السياسة الاستيطانية العَقارية بالجَزائر
"مَنطقة غليزان نَموذجا1850-1900"

أ: ليلى بلقاسم.
عضو باحث بمخبر الدراسات المغاربية
جامعة وهران أحمد بن بلة 01

الملخص:

من الملامح البارزة التي ميزت السياسة الكولونيالية في الجزائر إحداث تغيرات في طبيعة الأرض بغية تأهيلها وتعميرهاَ بمجموعات سكانية أوروبية على حساب أملاك الجزائريين العقارية التي كان يندرج أغلبهاَ ضمن العروش(الملكية الجماعية)، يقابلها عمليات التهميش والإقصاء للعنصر الجزائري المحلي.

وانطلاقا من هذه الدراسة حاولنا تسليط الضوء على" **منطقة غليزان 1850-1900**" التي كانت ميدانا خصباً لتطبيق الفكر الكولونيالي الاستغلالي، المنطقة التي استقطبت إليها الوجود الاستيطاني نظرا لتوفر العوامل التاريخية والطبيعية والاقتصادية منذ 1853م، لتكون محل استنزاف طال الأرض والإنسان على حد سواء، فكانت حقلاً لكل التجارب الاستيطانية وعينة لما حصل في الجزائر وبالخصوص في القطاع الوهراني، حيث تمَّ تثبيت العديد من العائلات الأوروبية بداية بتلك القادمة من الميتروبول- فرنسا الأم – وبالتحديد الجنوب الفرنسي الأكثر بؤسا وفقراً بالخصوص من مناطق (قردون- فيكون- سوميار- باز)، ، وبعض الكولون من المناطق المجاورة الراغبين في الثراء وتوسيع ملكياتهم الإقطاعية، بالخصوص بعد تأسيس غليزان بموجب المرسوم الامبرطوري بتاريخ 24-01-1857 على مساحة 4.000 هكتار مخصصة لـ 100 مسكن بهدف تثبيت 100 عائلة.

وقد أعقب عمليات التعمير والتوطين تهيئة الإقليم وتقديم تسهيلات وامتيازات عقارية إلى جانب استحداث الكثير من الهياكل الهادفة إلى ضمان استقرار العنصر الجديد بالمنطقة من مواصلات وسلامة صحية وتوفير الأمن والاستقرار...إلى جانب المشاريع الاستيطانية من هياكل قاعدية (الطرق،السكة الحديدية، الجسور، السدود، المواصلات..) وإنشاء المراكز الطُرقية (les centres routiers)، يُقابلها دعم الشَّركات الرأسمالية على رأسها الشركة العامة الجزائرية (S.G.A) بالخصوص في فترة الجمهورية الثانية وعودة الاستيطان الرسمي وتوافد سكان مقاطعتي الألزاس واللورينْ .

لننهي الدراسة بخاتمة حاولنا فيها الإشارة إلى الانعكاسات السلبية التي مست الفرد والمجتمع الريفي بالمنطقة اقتصاديا واجتماعيا اتضح ذلكَ من خلال التقهقر السكاني وعمليات القمع والتجويع والمصادرات التي طالت السكان.

مقدمة:

ونحن أمام الدعاوي المتجددة التي نسمع عنها عبر وسائل الإعلام الفرنسية حول مطالبات الأقدام السوداء باسترجاع الممتلكات أوتعويضهم في الجزائر وكأن الجزائر هي من استعمر فرنساَ .. !!!!ارتأيت أن اكتب في الموضوع نظرا لحساسية الموضوع.

إذ تعد السياسة الاستيطانية في الجزائر من أخطر المشاريعْ الاستعمارية التي هدفت إلى تغيير طبيعة الأرض وتأهيلها بمجموعات سكانية أوروبية مختلفة من حيث الأجناس يقابلها إقصاء العنصر المحليْ الجزائري. وتعد منطقة غليزان ميدانا خصبا وعينة -في القطاع الوَهراني- لهذه التجارب التي بدأت مُبكراَ انطلاقا مما قال الماريشال بيجو(Bugeaud) " يجب أن نحوِّل الجزائر إلى أراضي استيطَان ومُسْتوطَناتْ"[1].

01- أولى الهجرات التي استوطنت غليزان :

منذ سنة 1853 مـ وجهت إلى المنطقة أولى هجرات المستوطنين الأوائلْ القَادمون من الجنوب الفرنسي (قردون- فيكون- سوميار- باز)، انطلاقا من مارسيليا إلى وهران عبر السفينة.[2] (Désirade)، وأغلبهم من المناطق المتوسطية

[1] -Marmont, Paul, **Colonisation de l l'Algérie par le système du maréchal Bugeaud**.1871,P :66.

[2] - Esclapez, Vincent : **Relizane surnommée la petite Cayenne d'Algérie sa création en un**

الاكثرُ فقراَ ممنْ يجهلون طبيعة الأرض الإفريقية، لكن هيَ الرغبة في الثراء وتحقيق النجاح التي صورتها لهم الدِعاية والاشهار الفرنسي على انها" جنة

الأَحلامْ فبمجرد الوصولْ إلى وهران وجهت جموع المستوطنين إلى سان كلو(Gdail) ثم سان لو(بطيوة) ومنها إلى مستغانم، مروراً بغابات ستيدياَ باتجاه ماسرةوسيراتوبوغيراط ويلل والمطمر وُصولا إلى غليزان. استقبلت القافلة الأولى من طرف الجنود الفرنسيين المعسكرين في المنطقة منذ سنة 1842م وهنا يقول فانسان ايسكلاباس (Vincent Esclapez):" **في الأفق، على رأس هضبة جرداء تقف القلعة المهيمنة بفخر على ما يجاورها من مناطق، تقدمنا مع القافلة تَقودونا أرجلنا إلى القلعة الصغيرة، يُحيط بها العناب البري، والشوك الحاد...في المعسكر رأينا مئات الخيام الكبرى للعائلات المرابطية، ومن تمَّ أدخلنا إلى مخيمنا وتم إغلاقه، في زاوية من ساحة المخيم ، رأينا كوخ من اللوح مغطى بالطين والقصب والتراب المجفف من شدة حرارة الشمس لقد كان مركز الحراسة المخصص للجنود المشاة**".[3] وهذا ما يؤكد أنَّ غليزان كانت عامرة بسكانها لا تنتظر التعمير والتهيئة لبعثها من جديد بدعوى الحضارة.

ولقد استقبلت القافلة الأولى بالتحديد من طرف الملازم بونيفاس(Bouniface) فكانت ساحة كُولونـاَ-دُوزَنانُو(Colona d'Ornano) أول من استقطبت هذه المجموعات البشرية، حيث تم قضاء الليلة الأولى بهاَ وهنا نقرأ توصيات بُونِيفاس للمستوطنين:" **أصدقائي سأعطيكم نصيحة لمصلحتكم لا تتركوا المخيم لأي سبب، فحول المكان وفي النواحي المجاورة يعيشْ الأَهاليْ من اللصوص المستعدين لذبحكم**"[4]. ومَا يُفسر هذه مَخاوف هُوالرفض المحلي لهذا الوجود من طرف السكان من قبائل لَمحال وفْليتا التي سكنت المكانْ، وهذا ما يفسر أيضاَ مدى الوعي المحلي بمدى خطورة المشروع الاستيطاني الذي استهدف الأرضَ ومن عليهاَ. لهذا نجد أن القيادة العسكرية قامت بتجميع المستوطنين في المكان المشار اليه سابقاً تحت حماية عسكرية مشددة. ونشير هناَ أيضاَ إلى العامل الطبيعيْ الرافض لهذا الوجود، بحيث شكلت الظروف الطبيعية والمناخية عوامل رفض وذلك من خلال عدم قدرة هذا الوافد الجديد التكيف مع طبيعة المنطقةْ، علما أن الغالبية قدمت من منطقة البروفانس المتميز باعتدال مناخ لهذا شبهوا غليزان بكيان الجزائر الصغيرة (Petite Cayenne de l'Algérie).

وأمام رغبة الاستعمار في تحقيق أهدافه وإصراره على انجاح مشروعه في الجزائر نقرأ في ذات المصدر إشادة " الملازم بونيفاس(Bouniface)" بدور المستوطنين في القطاع الوَهراني على أَنَّهم بُناة حضارة مع تقديم الوعود والتطمينات بمنح جميع التسهيلات لتجاوز الظروف الصعبة بالمنطقة.

وفي الليلة الأُولى بتاريخ 04-06-1853 قدمت للمستوطنين الخيام من طرف المفوضية العسكرية لضمان إقامتهم ثم قدمت الخريطة الطبوغرافية الأَولية التي تمثل مخطط المدينة المستقبلية ومنح لكل عائلة قطعة أرض مجانية ادعت الإدارة الاستعمارية أنها تابعة للملك العام (البايلكْ) ثم استصلاحها وفق ما ورد عند روبارت تانتوان (Robert Thintoine) باستقدام 100 جنديْ للمساعدة في أعمال الزراعة والتهيئة[5]". وقد واجهوا في البداية انعدام الأَمن واحتراق الأكواخ وسرقة القطعان وتدمير المحاصيل والعتاد، وانْعدام الصِّحة والجَفاف الذِي طَال أَمده[6]". وهذا ما يؤكد أَيضا ما أَشرنا إِليها أعلاه حالة المقاومة والرفض من طرف العنصر المحلي وعدم قدرة المستوطنون على التكيف مع البيئة والعجز عن القيام بالأعمال الزراعية . وهذا

---

siècle de colonisation 1853-1956, Oran, 1957, P : 25.

[3] - Esclapez, Vincent : **Relizane surnommée la petite Cayenne d'Algérie sa création en un siècle de colonisation 1853-1956**, Oran, 1957, P : P: 25.

[4]- Esclapez, Vincent : **Relizane surnommée la petite Cayenne d'Algérie sa création en un siècle de colonisation 1853-1956**, Oran, 1957, P : P46.

[5] - Robert, Thintoine **: La plaine de Relizane avant l'irrigation, une plaine d'Oranaise transformée par l'irrigation**, la Mina1950, B.S.G.A, P : 21

[6] - Robert, Thintoine **: La plaine de Relizane avant l'irrigation, une plaine d'Oranaise transformée par l'irrigation**, la Mina1950, B.S.G.A, 223

ما يؤكده أيضا قول اسكلاباس في وصفه للوضع معاتبا الإدارة الاستعمارية التي قَادتهم إلى هذا المكان قائلاً :"**عدة مرات كنا نجلسُ على عتبة أكواخنا رؤوسنا بين أيدينا من الضجر والتعب والارهاق، لنجد انفسنا في يأس أمام مصيرنا البائس المجهول، قضينا أياما كئيبة وليال رهيبة تحت قسوة رياح السيركوالحارة والتي تهب دون توقف، الصيف البرد المطر الشتاء دون وجود ملجأ مريح .. المستنقعات الوبائية الراكدة، ...وسوء استعمال الكينين الكواليرا التيفوس الملاريا الأَوبئة تحت أسماء مجهولة ممن أصابت عائلتنا ودمرت صحتنا الجفاف انْعدام الأَمن شرب المِياه المُوحلة لِواد ميناَ ... هَذه هي مصيبتنا اليومية المتجددة باستمرار وهذا هوحظ مستوطني غليزان، في كيان الجزائر الاسم الذي تستحقه بجدارة ... مع اننا كنّا نتوقع هذا في طريقنا من خلال الخطوة الأُولى إلى غَاية محطتنا الاخيرة إلى هذه الأَرض ... إذ لا يمكن خداع المستوطنين البروفانسيين .. أردنا بإرادتنا أن نذهب إلى السجن في غليزان ... انَّنا خذام جيدون ... فلمَاذا نَشتكي؟**."[7]

بهذه العبارات عبر المستوطنون الأَوائل عن ضجرهم واصطدامهم بالواقع البائس الذي ساقته إليهم الادارة الاستعمارية، مستغلة ظروف البطالة والفقر وبهذه القساوة الطبيعية التي تنم عن روح الرفض والمقاومة استقبلت غليزان أولى بذور الاستيطان ..

بهذه العبارات عبر المستوطنون الأَوائل عن ضجرهم واصطدامهم بالواقع البائس الذي ساقته إليهم الادارة الاستعمارية، مستغلة ظروف البطالة والفقر وبهذه القساوة الطبيعية التي تنم عن روح الرفض والمقاومة استقبلت غليزان أولى بذور الاستيطان ..

ولكن رغم هذا التضخيم في ذكر المساوئ من خلال ما نقرأه في الروايات الكولونيالية كيف نفسر اذن تدفق مئات الكولون على المنطقة وقوائم الطلبات الذي صاحبه ابتلاع أراضي الجزائريين ؟ كامتيازات مجانية (Des concessions gratuites) بالخصوص على ضفتي مينا اليُسرى واليُمنى ؟

فبمجرد الإعلان عن تأسيس مركز غليزان بموجب المرسوم الإمبراطوري 24-01-1857

تمت الاستجابة لعدة طلبات والتي تعود إلى سنة 1852 و1855 تلاها تقديم العديد امتيازات عقارية قدمت لأفراد من مقاطعتي لاغارد(La Gard) ونيم (Nimes). كما نقرأُ في الأرشيف الفرنسي تلك التطمينات والتعليمات المقدمة من طرف الادارة الاستعمارية بشأن الاستقرار ومنح الأَراضي للمستوطنين على أَن يكون فصل الخريف من شهر أُكتوبر 1857م بداية لاستقطاب عدد كبير من سكان هذه المقاطعاتْ. كما نقرأُ في مراسلة الماريشالراندون (Randon) بتاريخْ 24-02-1857م إلى الجنيرال القائد العام للهندسة إذ يلح على ضرورة التعجيل بإنشاء مشاريع الأَشغال والطرق وجل الأعمال التكميلية، وأَن تكون الدراسات محل متابعة جادة.[8]

وانطلاقاَ من هذا حجزت العديد من الأَراضي لعدة عَائلات قبل أَن تصل حتى إلى غليزان، وقدمت لها في المقابل تسهيلاتْ فيما يتعلق بالعبور المجاني إلى الضفة الجنوبية من المتوسط من مارسيليا إلى وهران ومنها إلى غليزان. وفي استحالة عبورهم كانت تسلم حيازتهم العقارية إلى ممثليهم من الكولون بغليزان.وفي اشعار حول خلق مَركز غليزان المتعلق بـ 4.000 هكتار خصص منه أكثر من 1.256 هكتار منحت مجانا للمستوطنين.استجابة للطلبات المقدمة بتاريخ 06-11-1857 مـ. ويجب الاشارة هنا إلى أنَّ الإدارة الاستعمارية وانجاحا لمشروعها الاستيطاني قامت بتجميع المستوطنين الأوائل بعيدا عن المناطق التي تمّ فيها حصر الأهالي الجزائريين والعمل على تمليك المستوطنين بعقود توثيقية من طرف قاضي السلم (Justice de Paix) للناحية القضائية بلاغارد (La Gard) وقد سُلمت لهم في أغلبها سنة 1858. وكانت تتراوحْ مساحة الامتيازات ما بين 12 إلى 15 هكتار وبلغ

[7] - Esclapez, Vincent : **Relizane surnommée la petite Cayenne d'Algérie sa création en un siècle de colonisation 1853-1956**, Oran, 1957, P: 49.

[8] -A.N.O.M, GGA, 1L Carton 158-169.24-02-1857.

الشجع ببعض المستوطنين إلى المطالبة بأكثر من ذلك وهذا أيضا ما نقرا في الأرشيف رغبة منهم في انجاز مشاريع عقارية كالفنادق ومصانع البناء..[9] وما يلاحظ الليونة وسهولة التعامل والاستجابة لهذه الطلبات وهذا ما نقراه في مراسلة الماريشالرَانْدون (Randon) بتاريخ 20-02-1857م على دعم إدارته لطلبات الوافدين حيث أكد أن رؤوس أموالهم ضعيفة ولابد من دعمهم في الحصول على امتيازات دون شراءهاَ [10].

تَواصل تمليك المستوطنين بالتحديد على الضفة اليسرى لمينا فانتشرت المزارع التي تتراوح مساحتها ما بين 33هـ إلى 140 هـ وفي المقابل تم حصر وابعاد الجزائريين فيما يعرف بـ (Cantonnement) حيث أقاموا خارج مناطق الاستيطان. وقد لا حظنا من خلال الاطلاع على الارشيف المحلي بغليزان عجز المستوطنين الأوائل عن القيام بأعمال الزراعة وتهيئة الأَرض مما دفعهم إلى تأجير الأراضي للسكان المحليين وهذا لاستصلاحها تتجاوز في الغالب مدة الايجار السنةَ[11]. وفي ذات الأرشيف نقرأُ عَودة الكَثير من المستوطنين إلى الوطن الأُم فرنسا وبالتحديد إلى مقاطعتهم التي جاؤوا منها كما نسجل وجود توكيلات بالبيع ما بين 1860-1861 إلى مستوطنين آخرين أوبعض المتعاونين مع الاستعمار.[12] ومِن خلال ما ذكرنا يتبين أنّ الإدارة الاستعمارية عملت بشتى الطرائق لإحلال العناصر الدخيلة على المنطقة وتقديم كل التسهيلات المادية والمعنوية التي صاحبها في الغالب الدعم العسكري والمالي لإنجاح المشروع الاستيطاني بغليزان المرتبط تطبيقه بالأَرض.

02- خلق المَركز الاسْتيطاني غِليزان 1850-1900:

تمَّ خلقه بموجب المرسوم الإمبراطوري 24-01-1857م[13] وقد أُوكلت أعمال التهيئة إلى مصلحتي الهندسة والعمليات الطبوغرافية وهذا بعد مداولات مجلس الحكومة بتاريخ 03 إلى 10 نوفمبر 1856م على مساحة 4.000هكتار لـ 100 مسكن بهدف تثبيت 100 عائلة[14] وقد تم اقتطاع الأَراضي من تمَّ اقتطاع أغلب الأراضي من الحَساسنة- المصابحية- على الضِفة

اليُمنى لواد ميناَ و3.000 هكتار من الصحاري و600 هكتار من أَولاد سْويد. ومع

ذلك تؤكد الإدارة الاستعمارية في تقرير لها بتاريخ 20-03-1856م أن مركز غليزان تم انشاؤه في أرض تابعة للملك العام، وانَّ العرب قد أقاموا أراضي انتفاعية غير انهم يفتقرون إلى عقود ملكية[15].

ومن بين العوامل الداعية إلى انشاء المركز نذكر:

أ- العَوامل الطَبيعية والجُغرافية :

انطلاقا مما صرح به الماريشال بيجو (Bugeaud) بتاريخ 14-05-1840 قائلاَ:" يلزمنا أن نُنزل المعمرين في كل مكان كانت مياهه عذبة وأرضه خصبة وجعلهم مالكين دون المحاولة للتعرف على أصحابهاَ".[16] وهذا لاحتواء المنطقة على واد مينا المتميز بتربته الخصبة بحيث نقرا في رسالة مؤرخة بتاريخ 02-06-1856 من طَرف الماريشال راندون (Randon)إلى وجود مزايا بغليزان كونها تشمل على الأَراضي الخصبة الأكثر جمالاَ بالمقاطعةْ.[17]

ب- العَوامل الاقتصادية:

اذ عملت الادارة الاستعمارية على اعطاء بعدا تجاريا وصناعيا للمركز الجديد مراعاة لرغبات المستوطنين والسعي على جعلها

---

[9] - A.N.O.M, GGA, 1L Carton 158-169 , Affaires civils au sujet de Relizane , Mostaganem,26-08-1857.N,1724.

10 - A.N.O.M, GGA, 1L Carton 158-169 , Affaires civils au sujet de Relizane , Mostaganem , 20-02-1857.

[11]- الأرشيف المحلي للأستاذ الموثق بُوعناني الحَكيم الكَائن بغليزان.

[12]- الأرشيف المحلي للأستاذ الموثق بُوعناني الحَكيم الكَائن بغليزان، توكيلات بالبيع.

[13] - A.N.O.M,G.G.A, Carton 1L 158-169, 24-01-1857, et voir aussi B.O.A1857 , P :190.

[14] - A.N.O.M, G.G.A, Carton 1L 158-169,03 -10 Novembre 1856.

[15] - A.N.O.M, G.G.A, Carton 1L 158-169,14-11-1856.

[16]- إف لاكوست، اندري نوتشي، اندري بريان: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبول رابح ومنصوري عاشور. ،د.م.ج، الجزائر 1984،ص،293 .

[17] - A.N.O.M, G.G.A, Carton 1L 158-169, 02-06-1856.

سوق نظير سوق تيارت اذ نقرا ايضا في الأرشيف تقرير بتاريخ 20-03-1856 فتح ضرورة فتح طريق تيارت لكي تصبحَ غليزان محورا هاما بين الشمال والجنوب عبر الموانئ ويقلل من الاستخدام المكلف لوسائل النقل مما سيسمح بتدفق العديد من المنتجات نحوالشمال في مقدمتها الصوف.[18]

ت–العَوامل التَّاريخية:

تحتوي غليزان على آثار مدينة مينا Mina الرومانية من خلال اشتمالها على الجسور والسدود والمسارات والقنوات القديمة إلى جانب السد القديم بالقرب من مجرى واد ميناَ. وقد استقطبت اليها الاستعمار الروماني بسبب موقعها الاستراتجي الذي يشمل الطريق الرئيسي على النحوالتاليْ: Castra Nova(المحمدية) Prosidium Balleue(يلل) Mina (مينا) Gadum Castra (جديوية).

03– تهيئة الاقليم للاستيطان:

سبق تهيئة الإقليم عدة دراسات أسندت إلى مختلف اللجان لدراسة تهيئة المدينة المستقبلية فقد عمل الاستعمار على انجاح مشروعه في خلق الظروف الكفيلة لإقامة المستوطنين من ذلك:

أ– **توفير الظروف الامنية لأجل الاستقرار:**

رأَت الإدارة الاستعمارية في مسألة الأَمن أمرا ضروريا لتحقيق الاستقرار والتنمية لهذا شكلت قبائل فليتاَ أكبر خطر محدق وهذا حسب التقارير الفرنسية بالوجود الاستيطاني بالمنطقة وعَامل تَهديد لأي مُخطط اسْتعْماري باعتبارها حسب الرؤية الاستعمارية "الأصْل المتجَّدر للتَعصب والتَمرد انْطلاقا من مَوقعها الجُغرافي الخَطير والرُوح الحَربية ونُفوذها عَلى القبَائِل".[19] لهذا فقد شكلت السيطرة على هذه القبيلة العائق الحقيقي للانتشار نحوالغرب ومصدر كل فوضى واضْطراب بالمنطقة حسب التقارير الفرنسية دائماَ.الأَمر الذي دفع القِيادة العَسكرية إلى إقامة بهضبة منداس **"بدار بن عبد الله "** بالمناصفةْ منشأة عسكرية واسعة وسط أراضي هذه القبائل الثائرة تحوي 1.200 عسكري من المشاة وسرية من الفرسان، وبعض مواقع المِدفعية إلى جانب تعزيزهاَ بالعتاد العسكريْ[20]. وقد تم اختيار الموقع لاشتماله على تحصينات طبيعية وسهولة الدفاع بأقل عدد من الأفرادْ والامكانيات[21]، كما انه الاكثر ملائمة حسب النظرة العسكرية للقادة الفرنسيين باعتباره برج طبيعي وخط عسكري تجاري يربط خط تيارت– غليزان. ولأجل هذا خصصت قيمة 320.435.000 فرنك كقيمة إجمالية مالية لنفقات الأعمال العسكريةْ من خلال تقرير لجنة 20-03-1856 والتي شملت التحصيناتْ وإنشاء الأسوار ومراكز المراقبةْ بقيمة 38.000.000 فرنك أمَّا المباني العسكرية فدعمت بحامية تضم 2.461 عسكري و872 من الخيل وإقامة دائرة عسكرية خصص لها 282.435.000 فرنك.[22] ووفقاً لما تقرَّر في مداولة 20-02-1857 . باقتراح من القائد الأَعلى للهندسة بالجزائر التأكيد على إحاطة مَركز غليزان بِسياج دِفاعي وأَن يقام على هَضبة غليزان أيضاً حِصن قادر على استقبال المدافع وهذا بِهدف توفير الحماية للمستوطنين الأَوائل المبرمج تبيثهم وكدعم للقوات المكلفة بتنفيذ برامج الاشغال العامة بسهل مينا.

ب–ضمان السلامة الصحية :

طرحت مشكلة الصرف الصحي بسهل مينا منذ التواجد الاستعماري بالمنطقة على انها من أكبر العقبات التي واجهت الإدارة الاستعمارية في تنفيذ برامجها. لهذا ففي تاريخْ 17-04-1854 م تمّ إرسال مشروع الصرف الصحي من طرف القسم الرابع للأشغال المدنية من طرف جنيرال كوزان مونتبون (Martinprey) شملت النفقات التقديرية وملاحظات مسؤولي الهندسة وتم الاشارة فيها إلى ضرورة الاسراع في انشاء قنوات والصَممات والقيام بأعمال التجفيفْ.[23] وقد ادرجت لجنة بتاريخ 20 مارس 1856م أسباب عدم السلامة الصحية في تقريرها بـ سوء إدارة القنوات وانعدام الصيانة والتهيئة رغم

[18] - A.N.O.M, G.G.A, Carton 1L 158-169، 03-11-1856.

[19] - A.N.O.M, GGA, 1Lcarton 158-169،03-11-1856.

[20] - A.N.O.M, GGA, 1Lcarton 158-169, 03-1-1856.

[21] - A.N.O.M, GGA, 1Lcarton 158-169,20-02-1857.

22 - A.N.O.M, GGA, 1Lcarton 158-169, 20-03-1856.

23 - A.N.O.M, GGA, 1Lcarton 158-169, , 17-03-1856.

الاشغال التي قام بها الجَيش الفرنسي ما بين 1843-1848 والتي مست تحديدا السد. إلى جانب سبب آخر تمثل في مياه المستنقعات الناتجة عن فيضان واد مينا،[24] المتميز بالجريان نسبيا في المواسم الرَطبة والمطرة وبالجفاف في فصل الصيف. عمل الاستعمار على تلافي هذه الاسباب وهذا ما اكدته مراسلة بتاريخ 02 ماي 1856 إلى القائد بيليسي (Pelissier) على ضرورة "إزالة العقبات المعيقة رغم انّ الاشغال مكلفة من حيث المال والرجال".[25] وهي أَوامر من أَجل تهيئة السهل صحيا لإيجاد طرائق بديلةٌ عن مياه واد مينا لإمداد المدينة باعتبار مياه الواد من اهم انتشار الامراض في صفوف العاملين على دراسة المشروع الاستيطاني بالخصوص – المفارز- بغليزان جراء حُمى المستنقعاتْ الناتجة عن تراكم السيول.

لهذا فكل التقارير أشارت انّ اختيار المدينة سيكون وفق الشروط الصحية وقد اختير **المنحدر الشمالي لهضبة المدينة باعتباره الاكثر ملائمة مناخيا** كونه يحمل نسيم الشمال وبعيداً عن الرياح الجنوبية الجنوبية الغربية كما اكدت أيضا لجنة 20-04-1856 على إقرار هذ الموضعْ .ويشمل الأراضي المروية المهيأة بقنوات الرَّي والتي تم تجديدها على مساحة 14.000 هكتار كما اقترحت اللجنة توفير 16.000 هكتار للمدينة الجديدة لإنشاء بعض المراكز الصَغيرة لتسهيل عملية الاستثمار الفلاحيْ على الضفة اليُسرى لواد ميناَ حيث نقطة سيدي عبد الهاديْ المشتملة على الآبار وسيدي مقداد وأخرى بالضفة اليسرى لواد مينا على طريق الشلف إلى جانب بلعسلْ.[26]

ت–مسألة المياه:

وبمأَن المياه عامل عام في انجاح عملية الاستيطان بالمنطقة وبحكم سهل مينا وتكوينه الغني بالملح اعتبرت مياهه غير كفيلة بالاستخدام والتَموين كما أن الآبار التي تم حفرها أعطت نتائج سلبية لاشتمالها على الملح لهذا لجأت الإدارة الاستعمارية إلى النموذج الروماني باعتباره الأقرب إلى التطبيق في حل مشكلة التموين وذلك بجلب المياه من عين العُنصر ذات النوعية الممتازة بتدفق 10ل/ثا وبما يزيد عن 800 م^3/24سا.[27] وفي تقرير آخر نقرأ تقرير اللجنة بتاريخ 20 مارس 1856 على ضرورة الاعتماد على مياه واد العنصر في تزويد الاحياء المستقبلية وتلبية كافة الاحتياجات وقد قدّر مدير تَهيئة الاقليم في مراسلة بتاريخ 10 ماي 1856 أنَّ عملية جَلب المياه مِن مَنبع وَاد العنصر (Ain Anceur) مُروراً بزمورة إلى غليزان تقدر بـ 600.000 فرنك مؤكدين في ذلك على انجازها على نحوالقناة الرومانية القديمة ، وقد كلفت إدارة التهيئة بمراقبة تخطيط القنوات إلى القائد العام للهندسة بالتنفيذ.

ولقد انجر عن ذلك القيام بعدة دراسات الهدف منها استحداث والاستخدام الجيد لقنوات الرّي من جهة وتنظيمْ استهلاك المياه بشكل منظم بين المستوطنين على ضفتي مينا لتنشيط وتكثيف الزراعة ولأجل هذا طالب القائد العام للهندسة وبإلحاح سنة 1857 بتخصيص بناء مقر لحارس توزيع المياه وتجديد صمام القناتين الرئسيتين المستمدة من واد ميناَ بنفقة مالية تضاعفت إلى 124.000 فرنك.[28]

ث–مسأَلة المُواصلات:

وبمان المواصلات من اهم عوامل تحقيق الازدهار والتنمية قررت الادارة الاستعمارية البدْءْ في مشروع إقامة جسر مينا لتسهيل عملية الاتصال. إلى جانب دراسة مشروع طريقين رئيسيين هما :

– الجزائر – وهرانْ المار بالشلف الرابط بين عمالة الجزائر وعمالة وهران .

–طريق تيارت بواسطة زمورة ودار بن عبد الله الرابط بين الجنوب والسَاحل.

وهذا بهدف تفعيل دور المدينة المستقبلية تجاريا لان تغذوا مستودعاً لجميع المنتجات الفلاحية والصناعية المتجهة نحومينائي مستغانم وأرزيونظرا لأهمية موقع غليزان وقد خضعها المشروعان لدراسة مستفيضة لأهميتهما الإستراتيجية والعسكرية والاقتصادية منذ عام " 1849م من طرف القائد نقيب الهندسة كارت

[24] - A.N.O.M, GGA, 1Lcarton 158-169, 20-04-1856.

[25] - A.N.O.M, GGA, 1LCarton 158-169,02-05-1856.

[26] - A.N.O.M, GGA, 1LCarton 158-169, 20-03-1856.

[27] - A.N.O.M, GGA, 1LCarton 158-169, 20-03-1856.

[28] - A.N.O.M, GGA, 1LCarton 158-169, 09-02-1857.

(Cart)[29] ، ذاك ان غليزان تعتبر محوراً هاماً ونقطة التقاء هذين الطريقين. وقد أكد تقرير لجنة بتاريخ 20-03-1856 على ضرورة انشاء طرق جديدة عبر غليزان كما تمَّ ادراج مشروع السكة الحديدية الجزائر – وهران المار بغليزان[30].

04- المشاريع الاستيطانية بمنطقة غليزان :

ورد عن مكماهون Mac Mahon فـ"إن تنمية البلاد ارتبطت بالتوسع الاستعماريْ القائم على تَوفير الأَراضِي للمُستوطنين بِما فِيه الهَياكل القَاعدية كالطُرق والسُدود".[31] فما بين 1850-1900 تحولت غليزان الى ورشة من خلال المشاريع الاستيطانية التي تصب في صالح الاستيطان والمستوطنين إذ تم انشاء المراكز الاستيطانية وتوسيع القديمة منها واقامة الهياكل القاعدية بالخصوص في فترة الجمهورية الثانية وعودة الاستيطان الرسمي وتوافد سكان مقاطعتي الألزاس واللورينْ.

فكان الاهتمام بإنجاز **الطُرق** دعماً للاستيطانْ ومن هنا جاءت أهمية انجاز طريق الجزائر- وهران بطول 410.9 كلم وعلى طول الطريق الموازي للسكة الحديدية عمل الاستعمار على انشاء المراكز التالية كمراكز طرقية les centres routiers: يلل- مطمر (Clinchant) – غليزان – وادي الجمعة (Ferry les salines)- الحمادنة –جديوية (Saint-Aimé)- وادرهيو(Inkermann).

كما تم ربط هذه المراكز بنقاط أخرى من طرق فرعية ورئيسية كربط وادرهيوبعمي موسى وهذا لفك العزلة ونموالتجارة وتسهيل الاتصال ومراعاة للجانب الأَمني في حالة اي خطر يهدد الوجود الاستيطاني . كما تدعم ذلك بشبكة السكة الحديدية والتي صممت لأغراض عسكرية استعمارية منه الخط الرابط بين الجَزائر- وَهران المار بغليزان الذي أنجز ما بين 1871 - 1892 والذي يعد نقطة هامة في دعم الاستيطان بالمنطقة ذلك انّ الرؤية الاستعمارية انت قائمة على انّ السكة الحديدية ستضمن" النقل السريع للقوات العسكرية وتسمح باستتباب الوضع الأَمنيْ في البلاد كما ستؤمن في نفس الوقت الامن للمستوطنين".[32] التي أوكلت مهمة إنجازه لشركة باريس – المتوسط والتي كلفت بالأشغال بالمنطقة الغربية وقد تمّ انشاؤه ابتداء من عام 1857 بطول 426 كلم وقد عرف المشروع والذي انطلق فعلياً عام 1867 صُعوبات تِقنية ومعيقات طبيعية إلى جانب تزامن إنجازه مع فترة انتشار الأَوبئة. وفي سنة 1871 فتح الخَط الحَديدي بَين خط وَهران - الجَزائر عبر غليزانْ من أجل حركة المرورْ.[33] وقد تم دعمه بخط السكة الحديدية مستغانم- غليزان، فتح بتاريخ 15ماي 1888 وباتجاه تيارت مروراً بزمورة.[34] وقد كلفت الشركة الجزائرية الفرنسية بإنجازه بطول 200 كلم بهدف نقل وشحن منتوجات السرسوالزراعية إلى جانب نقل الثروات الخشبية وتثمين المنتجات التي تنقل إلى الوطن الأم فرنسا.

أمَّا فيما يتعلق **بالمياه** وبمأنها شرط حيويْ في ازدهار المستوطنات وبالخصوص انّ المنطقة تتميز بالجفاف وتذبذب التساقط وعدم انتظامه ونقص المياه رغم كثافة الأَوديةْ فقد تمّ القيام بالعديد من أَعمال التهيئة من خلال شق القنوات وبناء السدود التحويلية والخزانة من أجل إنعاش القطاع الزراعي الكولونيالي. وقد أوكلت الأَعمال في البداية للهندسة العسكرية كإشرافها على إنجاز سد ميناً (Mina) الذي سخرت فيه اليد العاملة الجزائرية كما كلفت مصلحة الجسور والطرق بحفر الآبار من اجل تموين السكان بالماء الشروب في كل من جديوية ووادي الجمعة، إلى جانب تهيئة المنابع والمصادر المائية حيث تطلب مثلا منبع عين قاتوو(Ain Gatou)بالمطمر 26.000 فرنك.[35]

ونظرا لعجز الدولة على القيام بالأشغال فتح المجال للرأسمال الخاص بإيعاز من مكماهون حيث تم فتح العديد من المناقصات أهمها قيام الشركة العامة الجزائرية (S.G.A)

---

[29] - A.N.O.M, GGA, 1LCarton 158-169, 269-11-1852, Oran.

[30] - A.N.O.M, GGA, 1LCarton 158-169, 20-03-1856.

[31] - Goldzeigeur (Annie -Rey), **le royaume arabe, la politique algérienne de 1861-1870Napoléon III**, P : 340.

[32] - Goldzeigeur (Annie -Rey), **le royaume arabe, la politique algérienne de 1861-1870Napoléon III**, P:558.

[33]- بن داهة، عدة ، **الاستيطان والصراع على ملكية الأرض 1830-1962**، ج 01، رسالة دكتورا جامعة وهران، ص 464.

[34] - Abadie(Louis), Relizane de ma jeunesse P:41.

[2]- . A.C.M :Les Archives de la Commune d'El Matmar.

لفريمي(Frémy) وتالابـوا (Talabot) بعد الرحلة التي وجهت إلى القطاع الوهراني زارا خلالها منخفضات واد يلل ومينا وواد جديوية ووادرهيولتشييد المواقع المخطط لها في شكل دراسة للسدود المستقبلية.[36] وفعلا تم بناء سد جديوية والذي صنف ضمن الجيل الأوَّل ما بين 1857-1877 بقدرة استيعاب 700.000م^3 وبتكلفة 260.000 فرنك والذي يسمح بري 600 هكتار خلال فصل الشتاءْ و100 هكتار في فصل الصيف.[37]

ما يلاحظ أنَّ جل أَعمال التهيئة والتجهيز جاءت تحت ضغط وشكاوي الكولون احتجاجا على نقص المياه في ملكياتهم الزراعية، التي تعدت مئات الهكتارات بالخصوص في منطقة سهل ميناَ حيث نقرأ في الارشيف الكثير من الاحتجاجات ومن ذلكَ الاحتجاج الذي أُرسل إلى محافظ وهران بتاريخ 13-02-1863 من طرف برلينغ (Bérling) مزارع بغليزان والذي خصصت له ملكية بـ 59 هكتار و25 آر 80 سنتيار مُنذ جَانفي 1858م بَقيت منها 20هكتار غير مسقية فطالب بإنشاء 04 خزانات للسقي حول قنوات الري بغليزان وقدرت نفقات الانجاز حسب مهندس الجسور والطرق بـ 4.000 فرنك[38].

وما يجب الإشارة إليه أن ميزانية الميتروبول تدعمت بواسطة أموال الجزائريين من الضرائب

"فهم وحدهم من مولوا مصاريف بناء الطرق والجسور والبنى التحتية".[39] وفي المقابل ازدادت ثورات الكولون نذكر المعمر ايسكلاباس صاحب الملكيات الزراعية الواسعة بغليزان التي بلغت 69هـ سنة 1893م إلى جانب استثمارات صناعية واسعة، الثروة التي امتدت الى غاية احفاده.[40] فكل الانشطة تركزت بأيدي المعمرين بما فيها المناصب الإدارية. يقابلها تهميش العنصر المحلي كضحايا للأوبئة الجفاف المجاعات العقاب الجماعي فتحولوا الى بروليتريا كادحة في مزارع الكولون وعلى هامش المدن ومن ذلك قرية الزنوج في غليزان (village négre)الذي خلق سنة 1860.

الخاتمة :

أدت السياسة الاستيطانية من 1850-1900 بغليزان الى حالة من لا استقرار السكاني في أوساط السكان الجزائريين جراء عمليات سلب العقار والابادة والتهجير التي اعقبت الثورات الشعبية بالخصوص عقب ثورة سيدي لزرق 1864 بغليزان والتي مورس ضدها سياسة الارض المحروقة الثورة التي كان من انعكاساتها مصادرة الالاف الهكتارات ونفي اكثر من 3.000 ثائر الى كورتي وكورسيكا انَّها السياسة الاستيطانية التي أَدت الى ارتفاع معدلات الوفيات حيث تقول ليننغ قولدزيغار (**Annie Goldzeigeur**):" **ففي مواطن فليتا والظهرة والونشريس تراوح التناقص ما بين 30 إلى 60 % ومجال مينا 65 % وبأولاد بوعلي بغليزان والونشريس 62 % وبالظهرة 58% وبأولاد يايا بزمورة لم يبق من السكان سنة 1869م الا 791 فرد من مجمل 2.460 فرد شملهم احصاء 1866 ما يمثل خسارة 67.8 %**" .[41]

إنَّها السياسة الاستيطانية التي افرغت المطامير بأولاد صابر وبني وراغ التي كانت تشكل احتياطا لمواجهة التقلبات المناخية والتغيرات السياسية وشردت السكان تحولت فيها الأَرض التي هي ضمن الثالوث المقدس عند الجزائر الارض العرض الدم إلى مجرد سلعة تجارية بيد المضاربين والمرابين الى يد الكولون.

البيبوغرافيا:

بالعربية:

[36] - Goldzeigeur (Annie -Rey), **le royaume arabe, la politique algérienne de 1861-1870Napoléon III**, P :611.

[37] - A.N.O.M,G.G.A, St-Aimé, 1M22, 18-07-1869.

[38] - D.A.W.O, 3R29, service des eaux, Relizane, 1850-1870, Mostaganem,13-02-1863 ,N ;65.

[39] - عدي، الهواري: الاستعمار الفرنسي وسياسة التفكك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1962، تر: جوزيف عبد الله، ط01،دار الحداثة، بيروت، 1983. ص: 186.

[40] -L'indépendance de Mostaganem, Première Année, N : 09, samedi 27-12-1892.

[41] - Goldzeigeur (Annie- Rey), le royaume arabe, la politique algérienne de 1861-1870Napoléon III, P :453.

1. الأرشيف المحلي للموثق بوعناني غليزان المتعلق بالعقود والمعاملات العقارية و الذي يغطي مرحلة ما بين 1860-1962 .
2. إف لاكوست، اندري نوتشي، اندري بريان: الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبول رابح ومنصوري عاشور. ،د.م.ج، الجزائر 1984.
3. بن داهة، عدة ، الاستيطان والصراع على ملكية الأرض 1830-1962، ج 01، رسالة دكتورا جامعة وهران.
4. عدي، الهواري: الاستعمار الفرنسي وسياسة التفكك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1962، تر: جوزيف عبد الله، ط01،دار الحداثة، بيروت، 1983.

بالأجنبية:

1. Marmont, Paul, Colonisation de l l'Algérie par le système du maréchal Bugeaud.1871.
2. Esclapez, Vincent : Relizane surnommée la petite Cayenne d'Algérie sa création en un siècle de colonisation 1853-1956, Oran, 1957.
3. Robert, Thintoine : La plaine de Relizane avant l'irrigation, une plaine d'Oranaise transformée par l'irrigation, la Mina1950, B.S.G.A.
4. A.N.O.M :(Les Archives Nationales d'Outre – Mer, Aix –en Provence), GGA, 1L Carton 158-169 .24-02-1857.
5. Goldzeigeur (Annie- Rey), le royaume arabe, la politique algérienne de 1861-1870Napoléon III.
6. Abadie(Louis), Relizane de ma jeunesse .
7. Les Archives de la Commune d'El Matmar. A.C.M
8. 18- A.N.O.M,G.G.A, St-Aimé, 1M22, 07-1869.
9. D.A.W.O, (Direction des Archives de la Relizane, service des eaux, Wilaya d'Oran), R29, Mostaganem,13-02-1863 ,N :65. 1850-1870,
10. L'indépendance de Mostaganem, Première Année, N : 09, samedi 27-12-1892.